الانتفاضة

حسين حيدر

من عـالم الأرض أم من عالم النُجُم
من وردة الحلم أم من شـوكة النـدم
أم من نشيـج وراء البـال، متصـل
بـذكريـات لهـذا البـال، لم تنم
من أين جئتم، من الأرحـام عاجـزة
فهـل أتيتم إلى الـدنيـا بـلا رحم؟
لـو تلك أرحـامنـا كنتم لنـا شبهـاً
أكـرمت سيماءكم عن شبهـة الـرمم
لكنهـا الأرض، ملت من صغـارتنـا
فأنبـت جيلها المنشـود، من عـدم!
جـذوركم لم تـزل فيهـا معـرّشـة
ودورة النسـغ توصي النسـغ بـاللمم
وسـلّحتكم بـأحـجـار مـبـاركـة
مـديـدة العمـر، أسـطوريـة الكـرم
وأودعت في سـداهـا، سـرّ غضبتها
ووشـوشتهـا أن انقضي، ولا تسمي
لستم بـأطفالنـا، فالعجـز من جـدل
يعـطي النقيض، وطالت دورة العقم
لا تـخـدعنكـم مـنـا مـشـاركـة
نخشى على حربكم من لوثة السقم
من أول الـدهـر، للتـاريـخ عبـرتـه
قـاتـلْ لحقـك، بـالأسنـان، تُحترم
في سـاحة القـدس أخـطار مفـاجئـة
فـكم جـواد كبـا فيـهـا ولم يـقم
النـازلـون إليهـا، بيـن منـسحب
إلـى سـلامتـه فـي لعبـة السلم
وبـين مـسـتـشـهـد أدى أمـانـتـه
وبـين مـنـتـصـر يعـطي كـمنـهـزم
وبين مستـذكـرٍ، حـانٍ على وجع
يسـوّر الحلم المكسـور بـالشمم

سحر الكبار انتهى بالسحر شعوذة
وساحر الكون طفل يثغ الكلم
فعندما قدمت للكون قصتنا
يد الكبار عرفنا نظرة البرم
وعندما أوجز الأطفال قصتهم
تغيرت نظرة في الكون للغنم
جيل الحجارة يكفي حربكم شرفاً
أن تستمر فلا تفريط في الحرم
كل الحروب التي خضنا، إذا جمعت
ليست سوى جولة في الحرب لم تدم
كنّا نباشرها في زخم معتصم
لكننا لم نكن ننهي كمعتصم
وزخمكم رغم طول الجرح مزدهر
كأنه كرم يسخو على نهم
وقبل أن تقرأوا في صفكم كتباً
مما قرأناه وقعتم بخيط دم
أطروحة الحرب في التاريخ، تحسمها
ارادة لا حساب الكم والرقم
جيل الحجارة يكفي زندكم شرفاً
أن السلاح هنا من صنع ملتزم
إيمانكم في مدى المقلاع محتشد
ومن يراهن على الايمان يغتنم
إن قصرت ضربة المقلاع عن هدف
شعّت عيونكم كالبرق في الديم
فارعدت، غير أن الرعد أغنية
وأرسلت طيرها سِجّيل بالجمم
وجوهكم خافيات في بيارقكم
توحدت كلها في وحدة اللثم
فأينما حدّق المحتل في فزع
رأى فلسطين تمشي، فهي لم تُضم
عرّج على دفتر التاريخ منفتحاً
واقرأه بالفهم لا بالمنطق الخصم
لم يُغفر النصر إلا عندما هدرت
الله أكبر بين السيف والعلم
ونشوة النصر وقف العاملين له
فمن يجاهَدْ لصنع النصر، يقتسم
في ثورة الطفل مسنوداً إلى حجر
وقدحة العود، تاريخ من الحكم
تعطلت معجزات العصر وانكفأت
إلى منصاتها، كالعاجز الهرم
كل الصواريخ في أعجاز أطقمها
والطائرات وأكداس من النقم
وأعقد المنجز المصنوع، أخطره
من آلة الحرب والتدمير والحمم
تحيدت، همشت، نامت بمخبئها
وحدت الكون عن أعجوبة القسم
وأصبح العصر مشدوداً إلى ولد
عيناه راداره، ذاتية النظم
كأن أحجارها رقت لوحدته
فأقبلت تنتمي للطفل عن أمم
كأنها وهي تجلو في طراوته
صلابة الصخر ذاقت روعة الحلم
تود أحجارها أن قام يقذفها
أن تفقد الوزن في كفيه كالنسم
فإن تهاوت على أهدافها غضباً
تثاقلت، كحسود خاف بالنعم
كأنما الريح في الأكمام غافية
فإن يُثِرْ اصبع بالنار، تضطرم
كأن شمس الضحى في عينه زرعت
عنادها، ثم دلته على القمم
كأن أنهارها مالت على اذن
إذا أصبت فداو الجرح بالنغم!
كأن أشجارها من قلب عاصفة
باحت له مرة بالسر في العظم
إن جاءك الموت يسعى، أو سعيت له
مت واقفاً كجذوعي، واقتبس شُيمي
في كل يوم أرى ابداعكم عجباً
فأي عقل كبير، قادر، علم
يقودكم، من ترى أغرى أصابعكم
بلعبة النار في صبح وفي ظلم
لعلها الأرض تعطي الأمر ثانية
ردوا الطهارة لي أو فاحرقوا ورمي
مناجل النار تمضي في مواسمهم
وتزرع الخوف من آتٍ بلا لجم
فبوركت أنمل الأطفال تشعلها
وبوركت أرضهم في مطهر الضرم
وبوركت أمّ طفل قربت وطنا
إذ موّنت بثقاب، زهرة الألم
جيل الحجارة، لا تحزن لمدرسة
تسد أبوابها احقاد منتقم
إن كنت للحرف فوق اللوح مفتقداً
فأنت أستاذنا، في أقدس القيم
غامت رؤانا، من الآثام، واختلطت
لكنّ رؤياك في الأنواء، لم تغم
فقل لمن نظر الثورات مبتكراً
لم تستبق ثورة الأطفال، فاستقم!
فلعبة الأمم الكبرى سيدخلها
أطفال عالمنا في لعبة القدم
إلى متى تحمل الأخبار معجزة
جديدة عن جنى الأزهار في الحطم
إلى متى يقرن الآباء قامتهم
بقامة الطفل، كالعملاق والقزم
إلى متى تخرس الأصوات في وطن
كأنه خائف من لثغة بفم!
سموا يتيماً، صغيراً فاقداً لأب
وفاقد الطفل بعد اليوم، في اليتم